al-Kafrawi, Fatimah Kamil

رواية

Riwayah

سياسة المرأة

(من قلم)

فاطمه كامل الكفراوي بمصر

كريمة المرحوم الدكتور كامل بك الكفراوي

(طبع بمطبعة «الأثر» الكائن مركزها بالفجاله)
(بشارع سيدي سيف بمصر سنة ١٣٢٨ - ١٩١٠)

في سبيل الوطن المصرى

(وللناشئة المصرية الكريمة)

اليكم يا ناشئة الوطن الذي هو أكرم أب لأبناء الاجتماع تقدم فتاة هدية أنتم أرفع من ان تسند بالاهداء اليكم ولكنها مناسبة لها ولائقة بسنها ومكانتها من التفكير والعلم :

لا أريد ان اقول « هي الرواية » وانما أريد ان يتفضل السادات والسيدات عليها بنظرة فانها حرية بنظرائهم في معناها ومبناها ولا يستنكفوا فقد تفقد سليمان الهدهد على ما بينهما من فرق : وربما أتى الصغير عفواً بما يحاوله الكبير

ذلك رجاء ان يعد صوتي على ضعفه ضمن اصواتكم لاعادة الوطن المصري الذي ينحصر في تقدمه أمل جميع ابنائه والله المسئول في اجابة المأمول

فاطمه كامل الكفراوي

سياسة المرأة

في احد الاحياء العربية بالقاهرة بيت قد بني من طابقين يشغل الدور الاول منهما عائلة صاحب البيت واسمه سليم شاب في الثامنة والعشرين من العمر ذكي فطن قد تربى تربية جميلة. ويسكن الدور الاعلى عائلة مكونة من امرأة حبشية وشاب هو ابن هذه المرأة يناهز الثلاثين من العمر أسمر اللون سريع الحركة تلوح على وجهه وعينيه البراقتين مخايل الذكاء الفطري. وهذه العائلة كانت قد استأجرت مسكنها من هذا البيت قبل شهرين من وقوع حادثة هذه الرواية

من نافذة الدور الاعلى لهذا البيت كانت تطل المرأة الحبشية قبل غروب شمس يوم بقايل وأقبلت عربة فوقفت امام البيت ولم

تطل بها حتى نزل منها الشاب الحبشي المشار اليه وبيده واصف يقل حقيبة (جانطه) وتبعته فتاة هي اخته وتدعى صبيحة وعلى أثر نزولهما من العربة أخذا يتلفتان يميناً وشمالاً ويرسلان باعينهما الى الناحية المقابلة لباب البيت وينظر أحدهما للآخر بدهشة كانما هم قد ألفا ان يريا بيتهما بشكل غير الذي هو عليه. او كانا يحبان ان يكونا بهيئة اخرى . وحانت من الشاب التفاتة الى النافذة فبصر بوالدته الحبشية تطل عليهما ببهتة واكتئاب ولم تجسر على مخاطبتهما بقول كانما تطوف بها عوامل محزنة مشجية . فبدأها الشاب بقوله :

ـ ماهذا أي اماه . وأين معدات الزينة التي اتفقنا على ان نستقبل بها أختي عند عودتها من تروضها وشفاء تمرضها لتزيد في سرور نفسها ونشاط جسدها !!!

فأجابت المرأة ـ آه ياولدى ما كنت بالتي تحب أن تستقبل سلامتكما التي هي كل آمالى من الدنيا الا بجميع معدات الزينة والمهرجان حباً في محافظتكما وشكراً للاله الخالق على ان منح وحيدتنا صبيحة نعمة العافية غير ان الزمان قد عصى على رغبتنا وسبقنا بحوادثه المشئومة المحزنة . فاحمدا الله على السلامة واصعدا

اليّ لاحدثكما الخبر وأقص عليكما القصص

قال الشاب بذهول ودهش : ـ أماه ماذا حدث بعدنا ؟

ـ حادث كبير ياولدي

ثم خفضت صوتها تريد أن لايسمع كلامها غيرها . ولكنه بالرغم عن احترازها ذاك كان يسمع على بعد عشرة أمتار وقالت

ـ اسمع ياواصف : مذ يومين ورد على سيدي سليم صاحب البيت خبر وفاة السيدة جميلة زوجته

ـ وكيف تلك الحكاية ؟

ـ الحكاية طويلة خلاصتها . انها قد القت بنفسها من قطار السكة الحديد الذي كان عائداً بها من زيارة بلدة والدتها فسقطت في نهر النيل . وأثبت البوليس بعد التحري والبحث الدقيق ان السيدة جميلة هي التي صنعت بنفسها ذلك الصنع

ـ قد علمت ان ابنتها نعيمة كانت تصحبها في هذا السفر فما الذي حدث بها الاخرى ؟

ـ وجدت نائمة حينما شرعت والدتها في امرها وبجانبها حقيبة امها لم يغب من محتوياتها شيء وهي الآن في حضن ابيها .

- وهل عرفت أسباب الانتحار ؟
- ذلك شيء بالطبع قد علم السيد سليم .
- وأين هو الآن ؟

عندك في قاعة الاستقبال . وأرى من الواجب ان تعزيه في مصابه هذا العظيم الذي لم يترك لعارفي أخلاقه ووداعة نفسه وكريم شيمه قلباً إلا أحزنه وأشجاه توجعاً له في نائبته وأسفاً على زوجته تلك التي هي كاسمها « جميلة » في كل شيء والتي هي ملاك سماوي في كمال طباعها ولطافة أخلاقها وانها تفوق الشكل الملائكي في حسن الذوق ورقة اللفظ وعذوبة اللهجة

وبالتالي تألماً على ما ناب ابنتها نعيمة تلك الطفلة الحسناء من فقدانها أمها . وعلى ما ينوبها بعد من الوحدة حيث تدير عينيها في الناس فلا ترى من تأنس اليه كأمها ولا من تشعر منه بالحنو عليها مثلها . إلا والدها الذي لا يُنكر حنانه ولكنه كحنان الاوز تلطف بلا بز . وناهيك بغراس نبت بين تفقد الغارس لتغذيته وبين تشابيك التكاعيب لتظليله وغاب عنه المغذي وأنت عالم بأهمية وظيفته . وكيف يفتني بالظل من

المذ. . .

وأنا فما لذي أعمله وقد عرفت اني في صنع الزينة مقيد بنذر واداؤه فريضة ؟

ــ أحددت يوم الأداء !

ــ لا

ــ لا بأس فهو غير محدود الزمن ولنا في المستقبل أمل . ولا نخالف واجب الجوار وحقوق الصداقة والصحبة ونكون في سرور وجارنا وحبيبنا سليم فى حزن وتألم

قالت المرأة هذا ورجعت داخل النافذة وتناولت الفتاة لخفية من يد اخيها وهي مطرقة الرأس مسبلة جفنيها على حدقتي عينيها كالتى تجهش للبكاء وتخطت الى طرق السلم . ووقف واصف حيران بين دواعي الاسف لعدم حصوله على رغبته . وعوامل الحزن لمصاب صاحب البيت بموت زوجته وتيتم إبنته . وقد ذهل كيف ان كل ذلك يتنق في وجه مسرته . وفيما هو يذلب رأسه استعظاماً للحادث سمع من وراء نافذة الدور الذى يسكنه سليم صوتاً يناديه قائلا :

ـ اليّ يا واصف

فالتفت بسرعة فرأى اضلاع خشب (شمسية) النافذة تقفل ثانية وعلى الاثر فتح باب الدور وظهر من دخله سليم بثياب البيت بوجه المكتئب ودموعه تسيل على خديه الى عارضيه . وقد بصر بواصف فهنه بالبكاء جبراً عنه . وخاطب واصفاً بقوله :

ـ اليّ يا واصف لتشاركني فيما حلّ بي أو لتخفف عني شيئاً من مصابي .

قال هذا وتناول يد واصف ودخل به الى قاعة خصصت لاستقبال الزائرين قد فرشت بالفرش الجيد وأثثت بالاثاث الحسن . فهوى سليم الى كرسي فجلس عليه وأشار الى واصف بالجلوس على مقعد ابن فضل . وأراد سليم التكلم فخنقته العبرة وسبقه الدمع ينحدر متتالياً فلم يستطع الامتناع عن البكاء بصوت يقطعه شهيق بحرقة كلما أحب حجزه عصى عليه وغلبه فكانت تنفساته أنيناً ونهنهة وترجيعاته شهيقاً وزفيراً جرّ هذا الدمع الى عيني واصف برهة وغالبت بها نفسه فقال :

سيدي سليم . ألا يمكنك أن تقلل من بكائك دقائق لتخبرني الخبر وكيف حدث هذا الحادث للسيدة جميلة التي لا يشك من عرفها في رزانة عقلها ورصانة فكرها . فلقد كنت كما علمت متغيباً في رأس البر لاستحصار صبيحة اختي من هناك . وقد عرفت انها منذ فصل بينها و بين زوجها وهي مريضة . وأشار الاطباء عليها بالتصييف في رأس البر هذه المدة . وكنت قد نذرت صنع وليمة اذا هي شفيت . ولهذا كان ما لعلك سمعت من المحاورة بيني و بين والدتي . وما كان أسفي على تأخير الوفاء بالنذر بشيء في جانب حسرتي على مصابك في زوجك . ولم أخبر بالحادثة تفصيلاً . واني لمستغرب ما سمعت عن السيدة جميلة ومندهش أن يكون قد حدث لها ذلك بالحقيقة . وأنا متأكد أن عقلها ذلك الكبير لا يتركها تفعل بنفسها ذلك الفعل . وعلى ظني انها لم تفعل البتة ولم يتم شيء . الا ان كان غير يد جميلة الذي صنع هذا بجميلة . وأخبرني كيف كان هذا !!

وكان سليم قد شغله سماع كلام واصف عن البكاء فصار في أثنائه يمر بمنديله على وجهه ليمسح دموعه . حتى اذا سكت واصف

كان كأنما دعاه بسؤاله ذلك الى البكاء ثانية فعاد اليه بحال أكثر ولقد حاول أن يعجل الجواب فلم تمكنه العبرة والشهق وكان يلفظ الكلمة الواحدة على مرات وقال:

واصف — ما أخطأت الحقيقة بقولك وان الذي صنع هذا الصنع بجميله يد غير يد جميله . نعم ان يدها التى أصابتها ولكني أنا المحرك ليدها . فاذا أردت القاتل لها بالحقيقة فليس إلا يدى الأثيمة . ان جميلة يا واصف لو خليت ونفسها بدون محرك لها على ما صنعت بذاتها ما ارتكبت ذلك الخطأ الفاحش مع ما فيها من حكمة وعقل . وانما هي يدى العاملة في الجريمة . وليست هي وحدها بل ويشترك مع يدى عقلي ولساني وكلي بجملتي . فلو وجد من يقضي في المسألة بالحق لما قضي إلا بموتي فيها . ولعمرك ان قضى بهذا لما كان إلا مقرراً للحق لا قاضياً يكمل الحق . اذ قد بقي بعد ذلك شيء هو حق تعذيبي لها مدة . ولو بقيت جميلة لطالت فيها المدة في التعذيب لأن ما بي من عمى القلب لم يدع عندي شفقة ولا رحمة لأخفف عنها ذلك التعذيب . واخلق بي أن أعذب قبل الموت دهراً قصاصاً على ما أذقتها من مرارة

العيش . وهذا الذي نويته فقد عزمت على أن أحمل على نفسي كل مشقة وصعوبة فلا أمكنها ولا من التلذذ بالكرى وأرجو أن يطيل الله في عمر جسدي هذا الشقي لأذيقه العذاب المر والتنكيل الأشق عساني باوصاف أكون قد ثأرت للحزينة جميلة . ولئن لم يطل عمري لتحمل الشقاء وسبقني الموت لهذا الجسد لأموتن بغصة ولا غصة الناقم لثأر ذاته . وانا اكد انني بعد ذلك لا بد صائر الى العذاب الخالد والنكال الأبدي مع الظالمين الجائرين اذ لم أقض حق العشير ولم أحسن مشاركة الابرار ومعاشرة الاخيار . فالى نقمة الله السرمدي هذا الجسد البهيمي وتلك النفس الجائرة الغاشمة التي لم ترع ذمة من استذم بها ولا تحسن الصنيع لمن اصطنعها ولا تعرف أجر من أخلص لها الود وحبس من اجلها ذاته عن اللذة ورضي بسماح نية أن يزاحم كسر البيت ويؤاخي الجدار بحرم اوبد والاوب ويخاصم الطريق ويقدر ان الله خلقه وحده للوحدة وللانقطاع عن الخلق . كل ذلك في سبيل رضاي ولأجل مسرتي . فلم أر لذلك وا خجلتي فضلا ولم أشعر علي له مأثرة بل كنت كذكر الدجاج يغر من مطعمه

الى حيث لا يدري راحته من شقائه

الى هنا استعبر وبكى فأبكى واصفاً

ثم بكى سليم كذلك وقد وضع يديه بالمنديل على عينيه برهة وأدلاهما والتفت الى واصف وكأنما كان يقصد أن يتمم كلاماً له فيما سبق فقابلت عيناه عيني واصف وهي تسيل الدمع فقال .

واصف . بكائي ليس لاني حزين أو متوجع على موت آخر شريك لي قد صدقني العشرة وأحسن المخالطة وأخلص وفي ليس غير . ولكني أبكي على أن أذنبت ذنباً لم يرتكب مثله مجرم في العالم هو أني أسأت الى محسن . وعاقبت بريئاً بالحبس والتعذيب ولم أرحمه حتى قضيت عليه . ثم كنت الفاروق السيء بتفريقي بين حبيبين هما حبيبة ووالدتها . وأنا المجرم بالحقيقة أنا يا واصف ذاك الأثيم مثلث الخطيئة . فلا تبك شفقة علي ولا رحمة بي فتكون قد ساعدت ظالماً وعضدت من الشريعة مرتكباً . وحملت علي إضاعة حقوق ضعفاء مساكين . إني لا أستحق منك الرحمة وإنما أستحق المقت والسخط من العالم جميعه في الدنيا وأمامي في الآخرة فناري قاع سقر. لقد كنت تنتظر

يا واصف على الجاني شهوداً تعرف الحقيقة أما أنا . فاعترافي عن حقيقة فاذا أحببت أن تسعد الانسانية وترحم البشرية وتبرر بمجتمع الآدمية فادع الله بأن تغور بي القطعة التي تحت قدمي من الارض فتهوى بي الي جوفها المحترق لأذوب بين موادها ومعادنها ولا يعود لي أثر في تراب القبور يشم له الناس فوحاً ويكدر رفات المائتين بريحه القذر . ريح العاصين والقتلة ريح الفاسدين

بعد هذا انهمل دمعه على خديه وبكى كثيراً ثم بكى واصف أيضا وعلى الأثر رفع سليم رأسه واستلفت واصفا الى اطار (لوحة) قد علق في الحائط المقابلة لواصف . فنظر فيه فرأى صورة فتاة في منتهى الجمال والحسن . وفيما هو ينعم النظرات في اللوحة قال سليم

هذه صورة جميلة زوجي . قبل أربع سنوات تزوجت بها على شرط الشريعة وهو أن نكون بالقلوب واحداً والاجسام اثنين: بمعنى أن يحفظ كل ما معنى الزوج منه وقفا لاخيه وأن لايشركه مع آخر في ذاته . فصدقت هي في كل ما عاهدت عليه

الله . وكذلك صدقت أنا في حفظ الامانة ولكني نكثت عهدي وخنت ايماني في أن أكون لها وحدها . نعم اني لم أشرك معها مثلها في ذاتي ولا مكنت سواها من قلبي . الا الهوي . الذى ان لم يكن انساناً فهو على المحابين أضرّ من ابن الانسان

كنت يا واصف أحبها والى اليوم وغداً وحق الموت ويوم الحشر احبها . ولكن كأنما كان عندى منها وثيقة أمان بأن أفعل كما بدا لي ولا أخافها . لا أستقر بعد أنهائي اشغالي في البيت ساعة بل ما كنت أجيئه إلا حين الحاجة وأتركه شارداً الى مجالس التسلي واخوان الصفاء . لا تظن شيئاً اكثر من هذا فليس والله غير . وهذا فرق الطاقة ولا استطاعة بشي خلفه مثل هذا الملك الروحاني فقد تقيد له وسجن في طاعته . تظل عيناها ترقب الجدران أو أثاث البيت بياض اليوم حتي آتيها في مسائه أو عشائه الى مطامي لا مطالع الشمس . وأعرف ذلك يا واصف ولكن القلوب القاسية والاكباد الغليظة لا تعتبر بغير زجر المحسوس . ذلك لاكون حطب جهنم ووقود النار . فما أشقاني ؟؟ لا على نعيم الدنيا حصلت ولا على الراحة في الآخرة

أبتوت وبئس المخلوق أنا

كنت أطل على هـذه المخلوقة الكريمة قريب الغروب فأتناول معها العشاء ولكن بسرعة كأنما قد حكم عليّ بذلك حكما أو اني في ركب أخشى الانقطاع عنه . فأسلت يدي من الطعام ولو استطعت الطيران الى مجلس لاخوان ما تأنيت . وكثيراً فعلت هذا وما رأيت على وجهها لمحة تغيير . فهل جازيتها على لطافة الحيا جميل التأديب والصفح عما أرتكبه من خطايا ! كلاّ بل كنت أعمي أصم أخرس لا أدري من هي ولا ما تعمل ولا أشعر بدرجة جرمي العظم الهائل

ويعظم ذنبي في نظري اذ تذكرت نصحها لى في كلام أرق من نسيم السحر كلما وقد لحظتني شارداً قرب باب البيت

سيدي حبيبي — اني لم أتهمك بشيء وأعرف من قلبك لاخلاص والحب لي . ولاجل هذا القلب النقي ورفيقته التى هي نفسك الطاهرة أتجلد أكثر من قواي وتأكد يامولاي انك لو حملتني مثل جبل رضوى من صدك وهجرك لما رأيتني الا امتك المستسلمة وخادمتك القانعة منك بكلما يسهل عليك وبأيسر ما يقتنع

به المحب من حبيبه . غير اني أعرف فيك المروءة والكرم فكن منصفي منك . كلك فضل وعدل فلماذ لا تذقني برد احدهما مرة؟؟ اني لا أشكوك ياسيدي ولكن ارجوك لجاريتك وام ابنتك وضيفك وان رضيت فشريكك . ان هذه المزايا لم تجتمع في انثى لك غيري ولا علاقة رجل بك ألصق وامتن من علاقتي بك . فان كنت الجارية وأم البنت وأنت تملك الامر على هذين الوصفين فأين كرم الشرقي لضيفه وتعطفه على نزيله وميله للمستجير به واللائذ بعدله والعائذ من جوره بانصافه

ـــ وفي سبيل الشرف قولها ـــ

اعلم انك ترغب الصفاء مع الجلساء ليس لبغض فيَّ وانما هي رغبة . ولقد تسألك نفسك عن انصافي فتجيبها أن هذا لا بد منه وانك سترجع ليَّ رجعة الخل لخليله . غير انك كأنما تخاف ان يفوتك الصفاء في الوقت الحاضر فتريد اغتنام فرصته . أعلم ذلك جميعه ولكن ارحمني ياسيدي فاني اخشى ان تعتاد الخارج فلا ترجع البيت الا والعمر قد ولى أطيبه فتكون مكافأتي منك ان تجعلني مريضة ويكون أول عمري وآخره سجناً »

فأجبتها ببرود : ان الوقت كالذهب يجب أن لا يضيع الانسان منه فرصة . واني لمستقبح ما أنا عليه من سير . غير انا كما يخطر لي مؤقت بأوقات ليست بالطويلة . فتحققي ياجميلة أني لك على كل حال . ولكن ليكن لي عندك سعة وحلم لأبلغ نفسي أملها من ملذات الشبوبية وهناء العيش وهو غض نضر

قالت : فان كان لا بد لك من اتباع خطتك والذهاب في منهجك فليحملني سيدي على بساط حلمه وليجعل لي من ليالي سهره بوقتا بمقدار نصيبي منه وسهمي فيه . فان لم تفرض ان لك زوجتين انا احداهما لي ليلة ولها ثانية . فهب لك ثلاثا من الاهل فلي بينهن ليلة من ثلاث أو الاخرى الاخيرة وهي ان تقدر بأنك متزوج باربع حرائر اذا قسمت لياليك بينهن خصني من كل أربع ليال ليلة . تلك قسمة عادلة شرعية . فما منعك يامولاي أن تعمل بها ؟؟ أفترى اني لا استحق ميلك لي واقبالك علي ؟ كلا ولا فاني أتأكد حبك لي الحب الخالص . واستغفر الله ان أتهمك بشيء غير انه لم يجيء الدور لي من تعطفاتك وحنانك الذي ينال

اصدقاؤك منه القسط الوافر وليس لي انا المسكينة وصاحبة الحق الواحد في قلبك منه شيء . لا أنكر ان سيكون لي منه متمناي . ولكن متى ؟؟ آه ياسيدي أخاف ان يطول اجل شرودك عني وفرارك مني و يسبق رجعتك الي الكبر والشيخوخة باحدنا أو كلانا او حادث يصلنا فتلحق بقية العمر بماضيه وأموت بحسرة و يكون ذنب حرماني عليك لانك كنت سببه والاصل فيه

لو عرفت متى ترجع الى حبيبتك لخف عليّ احتمال كل شيء ولو عرفت ان هناك ما نعاً يمنعك من الالتفات عن الاصدقاء ومجالس اللهو لما فتحت شفتي بكلمة . لكني أرى انه لافرق بين بيتي وتلك الغرفة التي تجتمعون فيها للشرب الا انها عمومية وهذه خصوصية . وكان حق بيتي ان يحجب عن ذاك . ولكن انقلبت الاشياء وانعكست الامور . ثم ألا تجد فيّ ياسيدي بعض شبه من اولئك الاصدقاء نتعتاض بي عنهم ليلتين في الاسبوع وتصيرني ممنونة منك ؟؟

تعال يا مولاي فأحضر لك خمراً وأسقيكه في ليلة فان رأيت في ذلك قرباً لاصدقائك فانا أولى بك من أولئك . وان

رأيت غير هذا فتكون قد برئت من ذنبي . أو كنت لا تسمع هذا فاجعل سهرتك في بيتي مع اصدقائك لأراك داخله فأسر بك واطمئن عليك

قلت . ياجميلة ان البيوت خير من المحال العمومية . ولكن في عين الذي خاص من شيطان الهوى واللهو . أما الذي مثلي تربع ابليس في قلبه . فلا أحب ان يدخل بيتي واحد من اخوان السوء ليكون نقياً طاهراً مناسباً لاقامتك ياخيرة الانسان . وعلى عيني ما تشتكين منه وسأسرك قريباً برجوعي اليك فلا تقلقي . فبكت وقالت : انا لله انك والله تستطيع ان تترك ما أنت فيه من اقتفاء الملاهي لانه عادة من السهل عليك تركها ولكنها الاوقات لم تحن ونفسك لم تبلغ مداها »

لقد هانت جميلة فاستراحت ولكني الذي اموت وأحيي في الساعة مراراً . اني لاموت كلما تصورت آدابها العالية وخصالها الحسنة واخلاقها الوديعة وفكرها البعيد مدى الاستنتاج . واني لا أذكر حالاتي ساعة أعود الى البيت وقد بقي من الليل الثلث وأطرق الباب وانا أتوقع الاهانة من لومها وأوطن النفس على

السكوت امامها حتى تأخذ شيئاً من حقوقها المهدورة الضائعة وتجزيني بأخف شر وهو اللهو على خطيئاتي وجرائمي . فاذا بها وقد فتحت الباب باسمة كأنما أنا ولدها الصغير . وتلقاني بتطاف قائلة لا تتكدر ياسيدي فانما هي الشبوبية لها سكرة . ولست أنا الا خادمتك المقتنعة منك بالرضاء دون ان اكلمك عليه ببرهان . وليس لي الآن منك غير حيز ضيق من فؤادك فبحياتك لا تجعل لمحب غيري عليه سبيلا ؟ أفلا ترضى ياسيدي أن يكون هذا نصيبي منك وعوض الزوجية والمعاشرة »

كانت تقول هذا ومثله وأنا اسمع وكأنما أذوب من الخجل . ويخيل الى أن اقول لها خذيني ملكاً وأجد هذا لا يفيد فأقف وقفة الطفل الوجل امام أبيه . فعند الله انت ياجميلة وأدبك وعقلك ووداعة نفسك وكلامك السحر الحلال الى رحمة الله ذهبت وفي لجج التنكيل تقذفت بي . تركتيني في حزن متمدد . على ان امأت لك . على ان آذيت ابنك بفرقتك . على ان أحرمت نفسي من هناء الدنيا . فالىَّ الي أيها الموت العاجل والفناء الحاضر .

تقول هذا فلم أعر قولها إصغاء وكنت مع ما أظهره لها من المحبة لم أعمل بمقتضى المحبة . ولم أزدها عن الكلام . وهي تثق بما أقوله لا عن جهل فيها وانما عن حدة ذكاء وبعد نظر في العواقب . فترى انه لا بد لكل شاب من فترة يكون في حينها بين أنامل الشيطان لايمن على نصيحة ولا يرعوى للوم . والتهديد والجبر حينذاك لا يفيدان في ارجاع الشاب كما ان أذنه صماء عن سماع النصح . ولكن المؤثر هو الاستجرار بسياسة القول اللين وان قل فلا يزال يقوى عامله حتى يغلب على الهوى متى حدث بالشاب حادثة يبقى لها أثر في جسده أو في شرفه أو في درجة اعتباره عند الناس . وقد كان لكلامها ذاك الرقيق المختصرة عباراته أثر في نفسي أشعر به إجمالاً في حال الوحدة و بين الغيبوبة والاخرى من السكرة . فأستحي منها كأنما أنا ابنها . فانظر كيف ان حادثة ردعي لم تكن الا فيها دون المال والعقار . ولو أنها في غيرها ما كان ليكدرني بأ كثر من دقائق . اما والمصيبة فيها فسأجعل مجلس مأتمها منتشفاي . فاذا برئت من مرضي به فالى القبر وهو طريقي الى العذاب الخالد

فاني ظلوم وأظلم مني من يشفق عليّ

قال هـذا سليم بحدة وبكى فأبكى واصفا هنيهة ثم عاد فقـال

لقد أشقيتك بشقوتي وأحرقتك بنار داهيتي . وما جنيت ولا أثمت وانما الذنب ذنبي وحدي . فليت الله يعجل على الظلماء القساة مثلي فيرسل عليهم من السماء ناراً و يفجر وجه الارض كله بركاناً ملتهباً ليذوب اولئك فيما بين ذلك

اعذرني يا واصف فيما تكلمت به وخـذ القصة مختصرة موجزة كما هي في دفتر البوليس لتكون على علم بما كان منها وربما وجدت منك العون على ما أريد انفذه بعد

امي جميلة ازدجاري وانتصاحي واعجزها احتمال بقائها في البيت الليل والنهار لا تراني فيهما إلا ساعة او أقل فحزنت لذلك نفسها واكتأبت وظهرت عليها دلائل المرض والتغير . وبعيني أرى هذا وأعلم أني سببه ولم أشفق عليها او أرق لحالتها بل تماديت على ما أنا فيه وأنا أظن ذلك مؤقتاً لعودي اليها . وقلت ربما انها اعتادت تغيبي فرجعت اليها العافية وأنال الحظوة من

الهوى . حتى اذا اكتفت نفسي رجعت اليها الرجعة الآخرة ولا أُحدث النفس بشيء بعد . على هذا الرأي اعتمدت ولقد كان رأي الطائش المتوه وجيلة كالشجرة المورقة اذا أقبل الشتاء تذبل أغصانها وينحني أصلها وتصفرّ اوراقها على التوالي والتتالي حيناً فحيناً . وكأنما بل لابد قد علمت ما يوسوس به صدري فلم تعد تكلمني في هذا الشأن مدة زمانية .

وفي يوم عرضت عليّ تلغرافاً وارداً باسمها يدعوها لزيارة والدتها التي كما ذكر بالتلغراف كانت على باب الآخرة . واستأذنت مني في أن تعودها فأجبتها بالقبول والاستحسان لأني حسبت في غيابها تفريجاً ووسعاً لي في مجال الهوى . وخرجت غير مكترث ولا عابٍ بما قالت وقلت لها . فلم أُحدد لها مدة تغيبها عني . وما دريت إلا في عودتي بعد نصف الليل بالمنزل وقد استقبلتني الخادمة وأخبرتني بسفرها ونعيمة ابنتها فلم أُبال بهذا ايضاً اوعددته من عاديات الامور عوضاً عن إسعادي لها في وفاة والدتها التي لم يعد لها بعدها حبيب ولا قريب

آه . بئست المروءة مروءتي والوفاء وفائي والعشرة عشرتي

وبئس المصاحب أنا . لا لله عملت ولا للانسانية صنعت ولا للرجولية خليت ولا على شرف وسلامة السمعة أبقيت . كأن لا عهد لي بالبشرية ولا دراية بالحياة ولا كأني سمعت بالعقل والتدبر ولا أخبرت بالتعليم . فليتني لم أخلق او ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً

ثم يا واصف كرت على هذا العهد الأيام بعكيال الاسابيع الى شهر لم تعد جميلة ولا أتي منها خبر . وأنا على ما عرفت من الانغماس في الملذة التي من أقل ما فيها أنها تنسي المتعلم تعليمه وتفقد المتربي ربايته بل العابد دينه وعقيدته الى يوم امس

هنا كفكف سايم الدمع غزيراً ثم استتبع فقال ..

يوم امس . لم يخلق الله على ما أظن يوما أسود ولا أشأم منه عليَّ . لقد أنستني حرارة ما حدث فيه حلاوة ما مرَّ في حياتي حتى اني لأشعر ان الموت على الذي تبقى فيه الحياة لآخر رمق أخف وطأة وأيسر احتمالاً منه

يوم أمس (!) ليذهب كأمسه لكن غير مودع ولا مشيع لتفقد ساعاته عما بين ساعات الدهر فلا يعود هو ولا شبهه .

أو ان عاد فلا أكون أنا في الاحياء . وأرجو أن لا يجري ذكره في حسابي أمام الله حتى لا أغص وأشرق به

يوم أمس جاءتني رقعة من البوليس يطلبني فيها بالحضور الى القسم . فتفكرت ملياً فلم أجد داعياً لاستدعائي للقسم . فخبيت لي في جيب الغيب خيراً وعجلت اليه . وفي القسم عدتك حالي ولا أراك الله مثل تكديري حين فاه مأمور البوليس بقوله

— أنت سليم !

— نعم

— ألك زوج تدعى جميلة وابنة تسمى نعيمة كانتا قد خليتاك بمصر وذهبتا لمدينة دمنهور قبل شهر لحضور مأتم والدة الزوج

— نعم

— لحياتك البقاء وفيك البركة . عظم الله أجرك وأحسن عزاءك في جميلة زوجك

— ماذا تقول ? وكيف ! وليس لجميلة أعداء بل لم تخرج

من خِدرها إلا هذه المرة. وان كان القاتل لها لِصاً فكيف تمكن منها وهي من داخل عربة القطار؟

— لم يقتلها لص ولا اغتالها عدوّ ولا خرجت من العربة إلا سليمة باختيارها ورضائها الى حيث قدمت ذاتها الى الموت

في هذه الدقيقة غاب رشدي وفقد شعوري ولبثت غير بعيد ونبهني قوله

— لا تدهش يا سيدي ان زوجك لم يعتد عليها أحد وانما هي التي قتلت نفسها بيدها بأن دفعت بها من شباك العربة في حين كان القطار ماراً على كوبري كفر الزيات فسقطت في النهر وقد اجتهد رجال الضبط هناك فلم يعثروا على جثتها لامتلاء النهر وزيادة تدفقه بالتيار ولحد اليوم والبحث لا يزال متتابعاً عنها ومتى وقفوا لها على أثر جليّ أخبرتك . أما نعيمة فهي وحقيبة (جانطة) والدتها الى صباح اليوم ضيفنا وفي عافية غير أنها حزينة النفس جداً على والدتها لا تفرغ من البكاء إلا الى النوم ولعلها اذا رأتك هدأت قليلا

ثم أشار الى أحد العساكر باحضارها فذهب وما غاب وعاد

نحمل الحقيبة والطفلة وبدلا من أني أقع على ابنتي من الحنان عليها او حباً في سلامتها . وقفت مأخوذاً مسلوب الفؤاد كأني انا الذي مت اذ ما كنت أشعر بشيء من الحياة . ولقد تمنيت أن تنكفئ خيمة السماء على مهاد الارض وليس بينهما سواي وأخاص من ألم كنت أحس به ساعتئذ لا أمثله بأقل من انطباق أعضاء صدري بعضها على بعض واختناق رئتي بحال حسبت أن قلبي معه قد سقط أو رميت بحجر طاحون أخذ بصحيفة صدري وكرب نفسي وغاض ريقي ويبس لساني وآلمني اكثر دوار مؤلم قد احتاط بدماغي إحاطة السوار بالمعصم غير أني كنت أسمع صوت نعيمة ابنتي كأنما ينادي من وراء الحجرات ـ ابنتي ابنتي . ولولا أني اعتمدت بيدي الكرسي لسقطت عنه الى الارض

وأنا في هذا نهض مأمور البوليس وأحضر لي محضر تحقيق الواقعة فاذا رسمه كما سترى

والحال عمد سليم الى دولاب قريب من مجلسه فاستخرج من أحد أدراجه مجموعة أوراق بسطها على طاولة أمام واصف الذي قرأ فيها

بلاغ من ····· قومساري قطار السكة الحديد المصر
نمرة ٢٧٥ القائم من الاسكندرية لمصر في منتصف الساع
الخامسة من يوم ١٣ اغسطس سنة ١٨٩٦ افرنكيه قال
في ما بين الساعة السادسة والسابعة من مساء اليوم المذكو
وحينما كان القطار ماراً علي كوبري كفر الزيات وقد نشرت
الظلماء قليلا من ذوائبها الفحمية سمعت أصواتاً مرتفعة تشع
بحادثة او وقوع امر خطير · وكنت حينئذ في آخر عربة للقطار
فأسرعت بالسمع لأتحقق نطق الاصوات وأخرجت رأسي من
نافذة العربة ناظراً نحو الامام فأبصرت شيئاً كاللفافة اسود ق
دفع أو اندفع من شباك العربة الثانية من الدرجة الاولى فواج
ذلك الشيء ترابزون الكوبري الحديد فاصطدم به صدمة شديد
ورنّ لها حديد الكوبري بجملته ثم سقط في إحدى فتحات
الكوبري يهوى الى النهر وغمر فيه · وعلي أثره ارتفع
الاصوات بأشد من الاول فعجلت الى العربة · وهناك فهم
نطق الاصوات التي كانت لا تزال تردد كلمة ـ المرأة ـ المرأة
ولقيني اربعة رجال فبادروني بالقول

ـ كان في هذه العربة امرأة وابنة طفلة وحقيبة • فلما توسطنا الكوبري سمعنا بهدة وجلبة على اثرها فتح شباك العربة فأطللنا لنبصر الخبر فوجدنا المرأة قد امسكت باحدى يديها الشباك تحاول الوثبة الى النهر فصرخنا فيها بالرجوع فما لبثت غير ثوان تتردد ثم أطلقت باب الشباك وزجت بنفسها بعيداً عنه فصدمها افريز الكوبرى ثم سقطت تهوي الى النهر

ولما كان لا يمكن استيقاف القطار فوق الكوبرى خشية الخطر امتنعت عن طلب إيقافه إلا اني أردت التطامن على البنت فتحت باب الصالون ونظرت فاذا بالطفلة غارقة في النوم لا تشعر بما جرى وبجانبها الحقيبة

هنا أخذت شهادة الشهود فكانت مطابقة لما أبداه القومساري

ولما كان لا بد من الوقوف على ما يؤكد قول الشهود والقومساري من قرائن الاحوال • ولكي يكون البوليس قد أتم تحقيقه واحتاط في بحثه لم ييأس من استظهار النتيجة ابعد فبعث بالغواصين يطوفون على الجثة في النيل واخطروا جهات

الضبط بالبحث . ثم رجعوا الى فحص ما حصلوا عليه فلم يستطلعو
من الشهود اكثر مما وقفوا عليه فاضطروا الى فتح الحقيبة
لاستظهار ما ربما يشير الى معنى . فوجدوا ان مفتاحها متروكا
بقفلها ففتحوها به فاذا بثياب السيدة وحليها مودع بها على
حالته ومعه ورقة ممضاة من السيدة جميلة شملت كل محويات
الحقيبة وبمقابلة البيان بالموجودات وجدت تماماً . وقد ابان
البحث شيئاً آخر به تم التحقيق واقفل باب القضية . وهو
خطاب بخط السيدة وامضائها تذكرك فيه بخلاصة معاشرتكما .
وقد اعترفت صراحة في الضمن انها التي انتحرت بيدها دون
تداخل احد وبمقارنة خط البيان المودع فيه محفوظات الحقيبة
والامضاء في الورقتين تأكد لنا الخبر بالمعنى الذي ذكرت لك .
ولم يعد من حاجة لان يستتبع البوليس ابحاثه إلا ليعثر على الجثة
ويواريها . قال سليم : ثم خاطبني المأمور بقوله

وليس لك بعد ذلك أن تتهم احداً إلا ان كان ولا تؤاخذني
تصرفك المجحف معها فيما سبق . ويمكنني أن أصرح بناء على
ما رأيته في خطاب السيدة زوجك من عبارات لا ينطق بها إلا

كبار الفلاسفة وعظماء العقلاء . انها كانت خير بشرية في النساء وأرقى نوعها دراية وتفكيراً . ومثل هذه كانت أحرى الناس بأن تقابل من مثلك بالعدل في المعاشرة والانصاف في المخالطة بل كان من الواجب أن تكون منك بين الانف والعين مطاعة الاشارة مسموعة الايعاء . وانك ان فعلت معها كذلك لم تكن قد كافأتها على ما أُوتيت من مواهب فطرية ولا ناظرتها على ما تستحقه من الكرامة والاحتفاء اللائقين بمثلها حكيمة ذكية طاهرة اللسان والقلب . ولو كنت الذي أقتنى هذه السيدة لما رأيت أن أكافئها على ما وعيت بشريتها وما أودعه شبحها القديم من الفضائل الوفيرة إلا بأن أشركها مع الطبيعة في ذاتي وأعطيها من الحق ما بأقله الاستيلاء على نفسي . ولو أنها اختلفت مرة مع الطبيعة فيما هو أولى بي لفضلت أن أطيعها وتذهب حياتي في طاعتها بغير أن أمنّ عليها بذلك .. ولكنك غيري أو أنت في نومة طال أمدها أو انسانيتك افرغت في طبيعتك وعقلك تحجب عنك بستار نفسك حتى لم تستطع إرادتك ان تتصرف في اشتهاءآتك فهي اصلاح فسادك على تلك المسكينة

الصالحة . وأولى بالاله أن يسلب الملك ممن لم يحسن سياسته . وحق للشمس أن تخدر بالحجب ان عدمت عارفاً بقدرها . وكذا اللآلئ تغوص الى أعماق البحر اذا لم تلق غائصاً معتنياً . فويل للطبيعة في ما غلطت به إذ أهدتك درّة أنت غير أهل لها . وأقسم بالشرف وأهله والحجى وناسه لو أن لي بك قوّة أو يمكنني أن آوي الى ركن شديد لكان أدنى جزاء لك أن تُصلبَ حيّاً على أن أضعت نفيستك الغالية بسوء تصرفك وضعف تدبرك فلتذق العناء والتعذيب جزاء ما صنعت يدك

بعد ذلك عمد المأمور غاضباً مقطب الجبين فألقى اليّ خطاباً بخط السيدة جميلة وامضائها هذا هو . ثم استخرج سليم ورقة فأعطاها الى واصف الذي قرأ فيها ما يأتي بالحرف

سيدي الاجل وزوجي العزيز

لم أنس جميل تلطفك بي مدة معاشرتنا التي لم أعلم أنك فيها واجهتني بسيئة وأستغفر الله ان أدعي عليك حقاً قصرت في ادائه غير اني طلبت معيشة أرغد ورغبت ان تكون لي كما كنت لك بالقلب والقالب . فأبت نفس الرجل منك إلا ان أكون امرأة

لا كما تقضي الشريعة الاسلاميه التي لم تستثن المرأة عن الرجل
بشيء بل كما تقتضيه المدنية الجديدة لا أقال الله لها عثرة التي تأمر
بحرية المتزاوجين في شخصيهما وتعاشرهما • وتقول لكل منهما
« لك عن الثفات شريكك عنك عوض من التفاتك حيثما تريد »
ولقد وددت أن يكون معنى اقتراننا ماقصده الاسلام من الاقتران
وهو « ان تصير المرأة عين الرجل أو هي هو أو ان يصيرا شريكين
متناصفين لكل منهما عند الآخر ما لهذا قبله ما داما متحابين •
واذا تنافر قلباهما سرح كلاهما رفيقه باحسان » فأجتزأت أنت من
هذا بما تبطنه وتضمره واجحفت بحقي في الظاهر • وسامحك الله
لو كنت أعلم ان انصرافك عني لما يغضب الله لحججتك به عند
قلبك المنصف ولو جدت منه نصيراً وعضداً • لكنك ملت عني
الى لهو لا بأس به في نظر العدل والحق وهو الترويض بمتعة الصفاء
مع الاخوان • هذا حفظك الله الذي أقفل فمي عن الشكوى
والتظلم لك • ولكنه أضناني واشجاني • بل احزنني لانني احبك
واحب نفسي ليس لانها انا وانما لانها تحبك • وأغار عليك من

ثيابك حتى لا ثار عليك منك . ولو استطعت هوى بك ما مكنت الهواء أن يمس رداءك . فاعذرني في ما ترى بي من رعونة وشبه حمق فليس ذلك ذنب لي ولكنها الطبيعة تظهر في الضعيف بأشد أشكالها ناهيك بالقلب الضعيف في الجنس اللطيف .

رأت الشريعة الاسلامية أن لا يمكن الشاب من معاشرة زوجة قبل العقد . خوفاً من أن تغلبها الطبيعة فتسبق التعاقد الشرعي بفعل الزوجية . وابتعاداً بهما عما يعتري جديد حبهما من التراخي بسبب قدم المعاشرة وطول مدد المخالطة . فأحسنت وبرت بابنائها ولكن الطبع الانساني لا يترك المحاورة والتبرم . عادة تغيره وتقلبه حيث لا يلبث الرجل وقد قدر على الزوجة وصارت في ملكه أن يخليها بين زوايا البيت في انتظاره ويهيم في غلواء صفائه وبين أتراب هنائه . وهي في خلال راحته وتروحه تقاسي الضر والعيش المر . لم أرد بذلك ياسيدي بان انك مخطئ . وانما هي الطبيعة ووليدها الطبع في كل انسان . يجب فيه عذر غيرك من الشبان . وأخشى ان اشير على من يحب التزوج من الفتيان والفتيات بأن لا يقرب التزوج الا بعد أن يهضم سورة الشبوبية ويخمد ثورتها . أي بعد

فوات العقدة الثالثة من سني حياته • لتكون نفسه أقدر على كبح
شيطان شهوتها فيعرف أو تعرف بعد قيمة زوجها فلا تغفل حق
التزاوج ولا تفرط في واجب التعاشر • اخشى أن اقول هـذا
فأكون كالتي تسلم زمام الشبان والشابات الى الطبيعة تلك الغشومة
الجائرة التي لا تعتم أن تزج بهم الى فوهات الخبائث والقبح فلا
يخرجوا منها الا سكارى بكأسها ان أفاقوا فبين عجزة أو معطلين
والا فالى الهلاك المبين • أتأكد انك تحبني ولكن امتلاكك
لي أزهدك في أو خلق فيك الصبر عني • فكنت كأنما تريد أن
تضيف الى هناء هذا الامتلاك صفاء وهناء باصدقائك وفي نفسك
تنوي انك ستعود الي • وأعلم ذلك منك علم اليقين ولكن خانني
الصبر يامولاي ولم أقدر على نصح نفسي بالتجلد • ولو صبرت
لحصلت منك على ما أتمناه وأريده • لكن ليعذرني سيدي فقد خلق
الانسان من عجل • وها أنا ذا قد عزمت على مبارحة هذه
الدنيا التي حكمت نفسي بأن لا سعادة لي فيها — نعم ذلك
أم كيف و بعيني أرى متمناي ليس في ملكي وحقي ضائعا بين
الحياء والادب • ولا يجدي استعمال الشدة لي نفعاً • بل ربما

ان أنا شددت يؤت بحرمان الأبد • وقد كان ائتلاين مفيداً والمسالمة مفضية لنيل ما أومل اذ لا بد للمتزاوجين في الشبوبة من ن يخالط حبهما فتور يقع غالباً في الشهر الرابع أو الذى يليه أشبه بالذي يعتور المسافر المجد اذا بلغ الغاية من رحلته وحصل منها على أمنيته . فيلقي عصا تسياره ويحاسب نفسه على ما كان . فاما كان رزيناً مسالماً فذكر الحسنة وأخفى السيئة وأقنع نفسه بالرضى عما كان . واما كان خفيف الرأس غير حمول فبدأ بالمقاصة وأخذ في العقاب . وقد كره البعض أن يزوج فتاته من ذي أبوين خشية أن يكونا سبب تفرق المتزاوجين . وهذا لعمرك غلط مفرط فان الآدمي حيوان لا تترك نفسه وطباعه النزاع : وكل اثنين متصاحبين متناسبين لا بد يفرط من لسان احدهما او من كليهما غلط باليد او باللسان . وانت تعرف ان المحب كثير التدقيق على حبيبه كما يقال « العتاب على قدر المشم » لذلك فمن اقل كلمة يقع الخصام بين المتزاوجين . اللهم إلا اذا شغلا بثالث واش او عذول يكون كلامه الشغل الشاغل لهما عن التفاتهما لبعضها . وان احسن شيء احدث به الطبيعة الزوجين ان يكون للزوج ابوان

يرقبان بالنقد أعمال المتزاوجين إذ لو خليا من ذلك هنيهة لتخاصما . ولا خوف على زوجين بيدهما من يعذلهما فانه يكون بمثابة المانع للمآرب وكل ممتنع محبوب . ثم من المؤكد الواقع ان تكون النتيجة حسنة للزوجين بعد هذا متى تجاوزا الحول الاول في شغل بال بالدخيل . حيث لا يلبثان أن يعتزلا المذول ويعيشا برغد . ولقد وددت لو أن أبويك حيان لأكون كذلك المحفوفة باللاحين ولكني لم أكن تلك السعيدة فقضات ان لا أكون كمضيقة عليك بعتبي ولا على نفسي بالحزن والاسف وربما مرضت بسبب ذلك فأمرضك أو أكدر عليك هناك . وقد أسلم من المرض وقد لا أسلم والاول غير مضمون . وفي الآخر شقاء لك لوقوعه بعد مرض تعلم أنك مسببه فتعيش منغصاً وأموت حزينة على حزنك . وبهذا أكون غير بارّة بك . أما وسأنتحر عقب خطابي هذا فسيكون في انتحاري شبه تعزية لك فيّ . لأني بيدي مت . وبهذا يكون التوجع على أصغر مما لو مت بتمرض . ولا أجهل فهذا ما قدر لي قديماً ولو اني عشت عمر

ذ... ما أكدت إلا أن أعيش على مضض ونغص . ولهذا فاني غير آسفة إلا على نعيمة ابنتي التي لم تستتم التربية . لكنني عند الله والى حنانك أستودعها . وأنا عالمة بأنك ستتحنن عليها وخصوصاً متى علمت بموتي لانها ستكون عندك كتذكار لي بل صورة مصغرة من زوجك وحبيبتك اذا تخيلت ذكراي تأسيت بها . فاذا كنت قد عزمت على صنع جميل معي فأنها ابنتي فاني بها أجد الراحة بعد موتي . بعد هذا فأمضي الى عالم الغيب آمنة مطمئنة عليك لاني أعلم أنك ستجد بعدي راحة عظمى مع تلك السعيدة التي ستكون زوجك الثانية . ستقبل منك انساناً قد خبر معيشة الزوجية وأخذ من الصفاء لذته ورجع مفعماً بالتجارب الى بيته . يعرف لامرأته قيمة ولعشرتها من نفسه محلا . لا تشم له الطريق فوحاً اذ يكون في احشاء مثواه قبيل . الغروب فهنيئا لتلك التي ستأويك بيتها بعدي والتي تمنيت أن أكون هي . ولكن من كانت تكون الاولى اتقنع نفسك بي ولو كانت فلا آمن أن تجد عذالاً يشغلك عذلهم عن متابعة خطتك معي فتربح

بصفقة الثانية ونصير الاولى هي الآخرة • فالهنأ هناء مكرراً تلك المرأة واتحمدني أنا التي خدمتها بلا معرفة وضحيت ذاتي لمنائها • وأنا اني أستحق منها الرحمات • ولكن هيهات أن يترحم صاحب منصب على سلفه في منصبه

في بيت المرأة الجديدة يذكر سيدي ما كان قد أنساه له اشتغاله بمصافاة الجلساء والخلطاء • يذكر ان بيت المرأة هو كل الدنيا للرجل • وان المرأة هي كل الناس • اذا صفا قلبها وخاص ودها أغنت رجلها عن غيرها • قلب المرأة يا سيدي اذا تصفى للرجل من الحزازات كثر خيره القليل وارق حاله وأنعم باله • انها لتستطيع ان تقتصد من العشرة تسعة ونصفاً وتوسع ضيق الغرفة وتكثر قليل أثاثها وتلين يابس فراشها • حتى تصير الوكر قصراً وليله فجراً • تعرف من لفتته مراده فلا تدع عينه تقع على شيء إلا جعلته حسناً جميلا • وهي بعد ذلك المؤنس والعضد المعين في المهم • يدخل الرجل عابساً هزيلا من عناء العمل وشقة الحركة وثقل هم الحاضر والمستقبل من المعيشة • فيخيل اليه من حبها له وشفقتها عليه المطرب المفرح

والمسلي المعزي . ولا تزال به حتى ينسى ما حدث له في بياض يومه وتفتح أمام مفكرته ابواب الآمال في مستقبل ايامه حتى انه ليستهين بما وقع وسيقع من كوارث فيبيت ساكن البال هادئ النفس مطمئناً . يأمل في يومه التالي سعادة لن تزول وهناء ابدياً . فيستقبل الصبح بصدر واسع وفكر قوي ونفس مطمئنة . ويطفق متخطياً ما يعترضه من مصاعب وعثرات بجلد وصبر . تصيبه الحوادث بالمقلق المنغص فلا يباليه اعتماداً على ان له في بيته المسعد المعين يعوضه عما نقص من الكسب بتوفيره ويهديه لما يفوته من تفكيره وله منه خير بدل من الاصدقاء والأخلاء يكتم عنه القبيحة ويذيع المليحة لا يجد منه سأماً ولا يحس بملل . خادم ان شاء خادماً مطيعاً . ونديم اذا تاقت نفسه للنديم وخل موافق وصاحب لا يخشى الرجل منه لوماً ولا تعنيفاً بل يرى منه شدة الحذر والحرص على ما يرضيه . تلك المرأة بالحقيقة اذا أحبت وحسبك أن وجهها أول من تصابحه وآخر من تماسيه . اذا كان من يهتم بالرجل فتلك هي بعد نفسه . تسر أكثر منه لما يسره وتغتم فوق غمه لما يسوءه

فتشعر بفرحه أو ترحه قبل أن يدري بذلك احد . به يرتفع قدرها
بين اترابها وجيرانها أو ينحط . وهي مرآته ان صلح صلحت
أوفسد فسدت . بل هي هو ومثال تام منه . ترضيها منه الكلمة
الطيبة ولو كانت كذبة وتتقرب لقلبه بكلما في استطاعتها وجهدها
فتعجب بغير حلي وتنبه وثوبها الى ركبتها اقتناعاً بحبه لها
واكتفاء برضائه عنها . وبيدها الجنة وهي الحوراء متى سكن
بعلها اليه وهدأ فيه . وأؤكد اسيدي أنه سيرى من
امرأته الجديدة الحب الجم والغرام المفرط نظير ما ستجده
منه من الاستسلام والتسامح الذي ستخلقه فيك التجارب
فلقد أعلم أنك ستحبني بعد موتي أكثر مما كنت في حياتي
وتعرف يقيناً أنك لم تحسن مجازاتي فلتحذر كل الحذر ان تصيب
الاخرى بما أسأتني به بل كن متطوعاً لرضائها متجنباً لما ينغصها
ولترى هي ذلك وتخاف أن تعجل فراقها كالتي قبلها
فلا تبقي من وسعها دخراً لتحوز إعجابك . فهنيئاً لكما
متعاشرين كان صفاؤكما رهناً على قتلي . وكذا كل راحة لا تصفو

من كدورة إلا اذا ضاع في سبيل الحصول عليها الغالي الثمين .
ولي الله ياسيذي وما سيلقاه من رضوانه جسد أُبلي في حبك
وأفني في رضاءك فانه يحسن مجازاة المظلومين . تذكر ياحبيبي
مسكينة كنت أنت أملها فما خاب الامل ولكن قصر المقدور
بالمؤمل . وتأكد بأني متى خلصت من مشتهيات التجسد
و بقيت روحاً مجرداً فلا افتئ أتردد على موطنك وفي هذه الحالة
فانه لينعم حالي اذا أبصرتك مرتاح البال مرتغد المعيشة وعلى
النقيض من ذلك اكون اذا وجدتك ولو مفكراً فيّ فاني أحب
من صميم فؤادي أن لا أعدم لذتين دفعة واحدة . تمتعك بالحياة
ومتعني منها . ولقد علم الله اني انما اخترت الانتحار فداء لك
وحباً في أن يتسع لك الوقت في تلذذاتك . و بذلك عدمت
الواحدة فلا وحياتك لا تعدمني الاخيرة ان أردت مكافأتي على
ما تحسبه لي من فعل حسن فاربأ بنفسك ومكنها من رغائبها
وان مرّ بخاطرك ذكري ساعة صفائك فاطرده عنك بكلمات
الوحم . فانما أريد أن تذكرني في خلوتك وفي هنيهات
انفرادك حتى لا تنغص عيش الاخت الثانية ويصيبني الجزاء

اذ لا أحب أن أكدر واحداً في الحياة ولا بعد الممات . ترفق بذاتك ولا تحمل عليها بسببي فان ما وقع كان لابد واقعاً البتة .

قد اطلت عليك يا حبيبي فلا تلم فانها بدل ساعة التوديع ولا تلتمس مني سماحاً بل سامح نفسك فاني في طوعها . واذا حرصت على اعترافي واقراري فاني قد سامحتك وأبحت لك حق ان تسيء الي بعد الموت ان شئت . فالسلام عليك وعلى نعيمة وعلى الدنيا . والى الملتقى يا حبيبي – جميلة

قال واصف – ثم ماذا

أجاب سليم وعيناه تفيض الدمع – الى هنا انتهي تحقيق البوليس وهذا آخر ما وصل اليه سعيه وهو الآن يبذل جهده في البحث عن الجثة . ومتى عثر عليها بعث الي لاستلامها اذ لم يعد داع لفحصها بعد ان اطلع على خطاب جميلة الذى قرأته . وقامت بجانبه الأدلة والقرائن تثبت أنه لم يضع من متاعها شي وان الانتحار كان بيدها . وبهذا يطوي كتاب حياة جميلة ويدخل ضمن اسفار الغابرين فتساوي من مات قبلها في

العصور الخالية

قال واصف — وعلى ماذا عوّلت بعد

أجابه سليم — على ان أنتظر أياماً فان عثر البوليس ع
الجثة واريتها التراب و بنيت عليها قبراً أتخذه أنا وابنتي مقا
مدى ايامنا . واذا لم يتوفق البوليس لانتشال الجثة وآيسه
من العثور عليها معه . اتخذت لها قبراً في هذا البيت فلا أفار
ساعة ولا أفتىء أبكي جميلة آناء الليل وأطراف النهار رجاء أن أق
بعض حق أضاعه تصرّفي السيء وتدبيري الممقوت او تسبق الوف
الوفاة فألحق بها ويتولى عذابي ملائكة غلاظ شداد هم مذ كو نا
جهنم جزاء وفاقاً على مافرطت من حقوق المائتة . لا . لا . ليس
من العدل أن أموت قريبا ويستريح جسدي هذا الجائر الظلوم
وانما الاولى ان أبقى تساورني الاحزان مئة عام لا تجرع غصص
الموت مكررة انتقاماً لتلك الفتاة المسكينة المضحاة قتلاً بلا ذنب
ولا حرج

قد علمت من خطابها ما كانت تجنه لي من حب كبير وغرا
محض . وانها كانت معذبة مني طول أيام معاشرتنا . وانم

فضلت الموت على ان تعرض اغراضي بكلمة . ينتج هذا انها
عاشت لي وماتت لأجلي . فنعمت الخليلة الوفية جميلة وبئس
الزوج الاحمق سليم . ولتحي هي في دار الكرامة والرضوان دائماً
وليمت سليم في اليوم الف مرة ويعود . ولتعصره أعاصير السعير
الخالد بعد الحساب الذي لا شفقة فيه

بعد هذا بكى سليم برهة وقال بصوت متهدج

مع هذا فقد كنت أتمنى أن لا تقاسمني هذه الطفلة تعاستي
ولا تحترق بنار تعذيبي الذي ينالني بحق لكنها لم تقترف فيه شيئاً
من اثم . من اليوم تضطر نعيمة الى مرافقتي ومزاملتي على
البكاء والعويل وتقيد بوافقتي على ما سألاقي من الضر . اذ
لا تجد من تأنس اليه سواي إلا ان كان من لم أرض من الخدم
الذين يفسدون تربيتها ويسيئون ما ورثته من أخلاق والدتها وقد
كنت أريد أن تتربي على ما أحب حتى تكون ريحانة يشم منها
ابوها الشقي فوح والدتها . هذا يا واصف الذي يقطع قلبي
ويزيد اشجاني ولست أبالي بعده أتكفأت خيمة السماء على اناء
الارض أم ذهب كلاهما رماداً تذروه الرياح . وا لهفي كأنما

قضى على سليم ان تناوب المصائب المؤلمة قلبه فلا تدع منه
انملة إلا متوجعاً

قال واصف • ارفق يا اخي بنفسك واشفق عليك
تذهب حرضاً • اني لا أسألك أن تقلل من بكائك
فقيدتك فاني لأسترخص منك الدموع البيضاء ان تفنيها
الجميلة • وما أسعدك باهراق ماء عيني لأجلها وتعزية لك
مثل جميلة تبكى البواكي • ولكني أسألك أن تكل المنابة
نعيمه لي • فقد علمت اني أعزب ولم يكن في بيتي غير
وأختي التى قصصت عليك خبرها وانها كانت متزوجة قبل
ثم مات عنها زوجها فأصيبت من الحزن عليه بمرض كان
وجودها مدة الصيف برأس البر والآن فقد شفيت تماماً •
لديها من سلوة وقت الوحدة إلا مطالعة الكتب التى لا
الحزن ولا تمنع تطارق الاحزان لنفسيه حيناً • وقد عرف
كانت موضع التروض لابيها وأمها • فربياها أجود تربية و
وعلماها • فان سمحت أن نضم هذا الطفل الى تلك
فتحتضن صبيحة اختي طفلتك نعيمة كنت قد منحتني فضلا

اذا رأيتنا أهلا لحضانة وحيدتك • وشفقت في البنية من أيدي الخدم الجهلاء • وربأت بنفسك فأزحت عنها عبأ كانت ترزح من ضمه لاعبائها الثقيلة -

أجاب سليم — واصف أراني لا أستطيع تلبية طلبك اذ لا أقدر على ان تغيب نعيمة عني برهة. فأكون بذلك قد فقدت لابنة والأم وفي ذلك مصائب متعددة يا واصف أفتراني أتجلد مد ان كنت ثالث ثلاثة عليَّ ان اكون فذاً انظر فلا ارى ونساً ولا مسلياً • رب كم هذه المؤلمات المفجعات • كان واحدة منها كفاية القصاص مني •

قال واصف — انك أهنتني بردك لي اذ ساويتني بالخدم •

قال سليم — لم أرد هذا ياواصف وانما تصورت موافقتك ما أردت فرأيت نفسي بعدها فريداً وحيداً كمنقطع الركب زاد • ولكني أشكرك كثيراً على ماعزمت به عليَّ • قال واصف ان تقول ما تحب • ولكني لا أعتبر كل قولك إلا إهانة يراً لي • وحينئذ اراد سليم ان يتكلم فسمع دق الباب اً يستأذن • فأبدى سليم تعجبه اذ لم يعرف ان يطرق

بابه ساعتئذ احد . فقال واصف . انها أمي يا اخي تو
مواجهتك وأذن لي بأن ارجعها . اجاب سليم كلا لا ترجع
ثم نادي تفضلي ايتها الوالدة الشفوقة .

عند ذلك دخلت والدة واصف وبدلا من أن تخاطب
بكلمة اندفعت تلوم ولدها وتؤنبه على انه طلب من
ابنته بقولها

كم قلت لك أيها الولد العاصي انه سليما لا يأمن الينا
يثق بنا ولا يحسبنا إلا لئاماً او طغاماً وما لك ولهذا الا
والالحاح وقد سمعت رفضه لطلبك اما كان في هذا زاجر
عن إعادة الطلب , قم فقد لقينا من سيدى سليم ما يليق بنا
اكرامه وضيافته . وكفانا ما سمعته من اباء سليم عليك
عاراً قد كسوت به عائلتك . ثم التفتت الى سليم وقالت

اعذرنا ياولدي فقد كنا في سهو عن قيمتنا وغفو عن
ويجزيك خيراً على ان عرفتنا ذلك . وانها الضيافة لنا منك
السنين عن الثقة بواحد من الناس

بعد هذا ألوت كتفها وانثنت راجعة فنهض سليم

فاصفاً في أن يمنعها عن الخروج ففعل واستوقفها . وأخذ سليم يخاطبها قائلا

لم أرد يا سيدني بما قلت تخجيلكم في طلبكم ولا تسفيه رأيكم لأني علمت من نفسي عدم الاستطاعة على احتضان نعيمة ابنتي وموالاة مراعاتها تماماً ولا بد ان أنحو احد نحوين فاما أن أستودعها أيدي الخدم وبهذا اكون قد قضيت عليها أدبياً وحكمت بأن تخرج من مدرسة الشر وسوء الادب شقية مجرمة وأنا وحدي المسئول عن ذاك والمؤاخذ بذنبها فأكون قد أجرمت جرمين بل جرائم هي اني كنت السبب في تيتيمها وقتل أمها وسوء تربيتها . وقد يكون لي بعض عذر أمام الله بأن أحسن تربيتها ولكني لا أجد هذا العذر اذا وكلت أمرها الى الخدم بل اكون آثماً من جديد بأن تسببت في إيجاد نسمة منكودة يؤلم نفسها إيجادها على تلك الصورة . ويؤلم الخالق أيضاً تصرفها المبني على تربية الخدم لها .

واما أنيط بالسيدة صبيحة ابنتك تربيتها . وأعترف بأنها

ستكون خير ابنة في آدابها وأخلاقها . غير أن نعيمة لا تلبث بعد أيام ان تألف أسرتكم ، بينكم فلا أراها وان رأيتها فلا اكثر من مثل رؤية الهلال مرة في الشهر ومثل خلسة من وراء ألفتها وقد علمت أن هذا يشق عليَّ جداً يا سيدتي فاني لا أهدأ إلا اذا كانت بجانبي دائماً فانها العزاء الوحيد لي في والدتها ودواء حزني العظيم على ما آلت اليه حالتهما بسببي

اعذريني يا سيدتي فيما أقول . اعذري رجلا كان بالامس منعماً مرتاحاً متطامناً بين عائلة هو الأمين فيها والسيد الآمر تعليها . وهو اليوم قد انفرد فهو وابنة لا تقبل عزاء ولا ترضى سلية بل لا تعرف مجاراة ولا مسايرة تريد منه كل شيء ولا قدرة له على ما تريد . ذلك أنها تريد منه أن ينعم بالها ويقر عينها . ولا مجد لهذا الا في إحياء والدتها واختطافها من يد الموت . ولا قدرة لمخلوق على ذلك . فأنا معذب القلب بين حبيب فات فوته وآخر يعوّل عليَّ ولا أستطيع له ترضيه : فاشفقي عليَّ يا سيدتي ولا تخف عني ريحانتي بل بقية الروح مني وتدعيني وحيداً بلا مؤنس وحزينا بلا عزاء . ان هذه لابنة هي التي أثقلت ظهري بالاقامة في مصر

فاذا غابت عني فسيان عندي الحضرية والبداوة والانس والوحشة بل الموت والحياة . وان أبيتم إلا أخذها مني فتصبروا ريثما أعد معدات الفرار من الدنيا واللحاق بالآخرة عساني ألتقي بأمها فاعتذر لها بالموت

هنا بكى سليم . فاستبكى واصفا ووالدته التي أجابته بقولها

انك لا تصغي لنصح ولا تعي لعظة وليس لهذا معنى إلا رفض ما سألناك فيه فلنذهب عنك ولنتحدث اذ اختلينا ومع الناس بأنك لا زلت ولن تزل لا ترعى لاحد جوارا ولا تعرف وفاء

قال سليم — كلا اني لأعرف ذلك كل المعرفة ولكن وأسفاه ليس معي قلبي .

قالت — اصغ ياسليم . انك كما ذكرت لا تستطيع تربية نعيمة ولا حفظها وحرام ياولدي أن تهملها أوتدعها الى الخدم . وليس عليك من شيء اذا كانت في بيتنا وأتعهد اليك بأنها لا تبيت كل ليلة إلا في أحضانك واذا أردت رؤيتها في اليوم الواحد ألف مرة فما عليك في ذلك كلمة اكثر من أن أمرنا باحضارها

فليرتح ضميرك ولتطمئن نفسك

حينذاك سكن هياج سليم وهدأت نفسه وجلس ساكتاً برهة ونهض فأخذ بيد نعيمة ابنته وأسلمها الى واصف وهو يقول —

خذ يا واصف فضلة كانت رؤيتها تهب لي الحياة . ولقد كنت بخيلاً بها على كل الناس فلم أدر أن الحوادث ستكرهني على أن أتكرم بها . وهي حبيبي فتصرف في تربيتها بل بأبيها بما أنت وأسرتك أهل له

ثم أرسل نظرة الى ابنته وتساقطت دموعه على خده وقال

عند الله وفي ساحة الاصدقاء خليتك يا ابنتي . وكان بودي أن لا تبعدي عني قدر أصبع الا اذا مت حتى لا أسمع بشقائك في البعد عني . ولكني أخليك متهوراً مجبوراً ولا أعلم ان كنت أحيي بعد اليوم أم لا . فان كانت الآخرة فالى كرم واصف أدعك ضيفاً والى الجحيم آوي . وأظن لا لقاء بعد اذ من المستحيل أن يلتقي البار بالفاجر والاخيار بالاشرار

بعد ذلك رجع الى المقعدة وواصف يطمئنه . وقد أخذت

والدة واصف الابنة فذهبت بها لابنتها بداخل البيت . وبقي سليم وواصف يسكن تأثره ويطمن خاطره . الى الليل أتاه بابنته ولكن ما يجده من التكدير والحزن بدأ يزول منه شيء اذ نظر لابنته فرآها على غير حالتها السالفة من الانكماش ولا كتئاب وقد بدأ يظهر عليها البشر ودلائل السرور . فوجد سليم بذلك بعض تعزية له في مصابه . وقد عرف في هذا الحين صواب رأى سليم ووالدته في احتضانها وأدرك أنهم لابد قد أفرغوا الجهد و بذلوا الهمة في العناية بها وادخال المسرة عليها . فخفف هذا بعض ويله وسكن جأشه و بردت غلة فؤاده

فلما كان الصباح وافت الخادمة فاستلمت نعيمة الى صبيحة ابنة الحبشية العجوز وشقيقة واصف الذى طفق يحاول تسلية سليم حتى أقنعه بترك ملازمة البيت ووافقه سليم على رأيه

صار سليم يرافق واصفا كل يوم للتنزه الى قريب المساء و يعود فيطلب النظر الى وجه ابنته نعيمة ثم يصطحبها الى مبيته . وعلى هذه الحال استمر الى ما يقرب من شهر . بعده تغيرت الشأن نعيمة حيث صارت تتجاهل اذا دعيت لمواجهة ابيها ولا تقفين ؛

يديه إلا بقدر أن يراها وتبدو على محياها دلائل القلق والسآمة من وجودها مع ابيها طويلا ولا تلبث أن ترجاه في العودة الى حاضنتها صبيحة بشغف ورغبة من يدتين . وكان سليم يتساهل مع ابنته اولاً في ما تترجاه به من سرعة الرجعة . ولكنه لم يطل به الوقت واعتادت نعيمة على إهمال مقابلته وتركت المكث عنده كما ظهر له منها التبرم والكره لمبيتها معه . فوجد سليم من نفسه راحة براحة ابنته غير انه ساءه ابتعادها عنه وزهدها فيه حتى انه كان لو لم يطلب مقابلتها يوماً او يومين ما وجدت نعيمة لذلك وحشة ولا رغبت مواجهته من تلقاء نفسها . فزاد هذا في حزن سليم الذي كان موالي الكآبة متصل التوجع دائم الانين لا يفارقه الغم ساعة بالرغم عن كل ما كان يراه في التروض من مناظر ملهية وهيئآت مسلية كأنما قد طبع على قلبه بإن لا تدخل المعزيات على مصابه فشكا ما يجده من رغبة ابنته عنه الى واصف وذكر له انه قد مضت اربعة أيام لم يرها فيها . وكثيراً ما طلب رؤيتها فأبت واذا اتيته فكأنما هي مجبورة على ملاقاته . ولا يعلم لذلك سببا غير شديد تعلقها بالسيدة صبيحة

وطلب منه الفات الابنة لطاعته فاجاب واصف

لم يخطأ واحد منا في ماعمل . فان اهم شيء كان لدينا منذ الاول بذل الهمة في أن يصرف عن نعيمة ما تجده اليتيمات من الوحشة لأمهاتهن قبل أن يعلق بنفسها تقهقر له طبعها وجسدها فتنشأ مائتة النفس مضطربة الفؤاد كئيبة الوجه عبوسة الجبين . وما خفيك أن ذلك مسرح الداآت وحضيرة الامراض فقد حكى الاطباء ان كل مرض مهما عضل أمره وصعب تداويه لاينهض بمغالبة النفس اذا كانت محظوظة ولا يؤثر في جسمها مازالت منتعشة . وان أصغر الادواء ليجد في الجسد الحزينة نفسه المكتئب فؤاده المترع الأوسع والمرتع الفسيح . لذلك كانت عزائمنا متجهة الى ما يجلب اليها المسرة ويدخل عليها الفرح والذي يظهر اننا تغلبنا على نفسها فنقلناها الى ما اردناه لها ونسيت المرحومة والدتها وبالتبعية كادت تنسى والدها . وانما لو اخذنا نذكرها بطاعتك الآن افلت منا طبعها ومالت عنا جانبا وعهدها بأمها لايزال قريباً ونخاف بين ذلك فتعود بالميل لان لان تذكر أيام والدتها وحنوها عليها فنخسر اتعابنا والبنت

في ضمن ذلك

ولي رأي يمكن بواسطته الجمع بين الرغبتين وهي إما ان تخلي لك من غرف الطبقة التي نسكنها غرفة تضع فيها سريراً لنعيمة وآخر لنومك وبذلك تستطيع ان تكون مطمئناً عليها بقربها منك طول الليل مرتاح النفس برؤيتها في الصباح والمساء . او ان تخلي قاعة من الدور الذي انت فيه يكون مقاماً لصبيحة أختي ونعيمة ابنتك بياض النهار حتى اذا جاء الليل خلت نعيمة مستأنسة بك

حين ذاك أطرق سليم الى الارض متفكراً وكأن ما قاله واصف قد ألفت سليماً الى رأي ثالث يقتضي النظر والتروي ملياً ثم رفع سليم رأسه وقال : ندع مضي اليوم بجملته وسأنظر اي الرأيين اكثر راحة لنفسي . فأنظرني الغد فاني لا بد موافيك باذعاني لاحدهما

على هذا افترق الصديقان . وآوى سليم بيته حيث عمد الى مقعدة فجلس متكئاً الى مسند وأخذ يكلم نفسه قائلا

ها قد فقد المعزي بعد فقد الحبيب وأنا سبب كل هذا

واللوم عليَّ بل التعس والنكس. ولا حيلة في استرداد قلب الطفلة واذا حاولت ذاك وقعت فيما حذر منه واصف . ثم اني انزل في غرفة بيته كضيف واخلي منزلي خالياً بعد عماره وأعود فاستوحش الابواء اليه وأهجره فأكون قد عملت على خرابه ابدياً هذا لهو الذل وكل إهانة . وكذلك أتعب السيدة صبيحة وأضيف الى تكليفها بحضانة ابنتي ان تترك بيت أُمها وتنزل بيتي فذلك أصعب وأشد . ولو ان واصفاً قبل مني لأُخته جزاء الحضانة والتربية لخف الثقل وعددتها مؤجرة فلا أستحي ان اكلفها . ولكنهما لا يرضيان هذا . وان عرضته عليهما اكون قد حططت بمقامي عندهما وأهدمت مكانتي فيستقلوا مروءتي وعقلي . ومع هذا فلا أضمن فقد يتحرش الشيطان بالغواية لي او لهذه السيدة فأقع في جريمة ثانية وعصيان للخالق وأذى للناس !!!

ماالذي يهجس بخاطري . أأطلب صبيحة لي زوجة فأرتاح بالجمع بين ابنتي وأمها الجديدة وأفرض انها زوجة نعيمة اوخادمة لها ؟ وكيف والمرأة تطالبنى بحقوقها النسائية ؟ او أنسي أ جميلة

التي كنت سبباً لموتها وأجازيها بالنسيان على ان رضيت بالموت خشية التكدير عليّ ! أني اذن الخائن لخائل خب ماكر للجميل ناكر

رحمك يا ربي . ارى عقلي وقف عند هذا الحد وحدثي لم يتخطاه وكأنما قلبي قد رضيه . اف للانسان ما اسرع نسيانه وأقرب تقلبه ! قد اكون محسناً لوتزوجت بصبيحة لانه ليس إلا جهاداً في حب جميلة بارضاء ابنتها وأي شيء تقرله عينها اكثر من تطوعي لرضائها براحة ابنتها

جميلة - لست بالخائن لك والله وسأطبق على حبك قلبي الى الابد والعبرة بالحقائق ان خالفتها الظواهر

بعد ظهر اليوم التالي اجتمع الصديقان سليم وواصف وخرجا الى التنزه والتروض وفي أثناء الطريق لاحظ واصف في وجه سليم الكآبة والتقطيب كالذي أجبر على الدخول في أمر لم يرده . فبادأه بالحديث قائلا

يا سبحان الله ياسليم كأن مرور الأيام على قلبك وتوالي الحوادث المادية لم يؤثر على مخزونه بشيء . بل كأنما يزيده

التعلق بجميلة ؟ كأن اليأس من رجوعها ثانية للحياة لم يكن
بالذي يذاب على حبك لها ــ ؟ فالى متى تظل في ضرك و بؤسك !
وما ترجو من استمرارك على خطتك هذه خطة المرضى الميؤوس
منهم ؟ وما ذا عسى تؤمل أن ينتهى بك حزنك وضرك ؟ أحتى
تكون حرضاً أو تكون من الهالكين ؟؟
أجاب سليم ــ ان جميلة يا واصف لا تزال نصب عيني وحادثتها
كمين صدري وموضوع تفكيري في الخلوة والاجتماع واذا رجوت
مني نسيانها فقد رجوت ما وراء المستحيل بمستحيل الالهم إلا ان
قبرت في الجدث وأمسيت حشو المقابر . هناك أنساها اذ يكون
قد مات مني الذي يذكر وهوساً مني ان أطمعك في اني سأنساها
ولست بالذي يكذب على ذي ود . ولا أمل لليأس في أن يحل
مني قلباً مفعماً بالحب اذ لا محل له . وليس ما أبتغي من
الحزن والتحسر ان تعود جميلة بعد الموت الى الحياة فلست
بمجنون أو معتوه . وانما هذا غدا طبعاً لي ولا يمكن لواحد
أن يخالف سجيته وجبلته . ورجائي أن أظل مؤاخياً للحزن
مراظباً على التحسر حتى ألحق بحبيبتي لأكون قد اقتصصت لها

من ذاتي التي لم تعرف لها حقاً ولا واجباً

قال واصف ــ انك بهذا تكون عاملا على هلاك نعيمة ابنتك التي يوشك أن تتأثر لأجلك • ولكون غصنها لا يزال رطباً وزهرتها غضة لم تبلغ بعد حد الايناع لا تتحمل تحملك فتتبعك الى الدار الآخرة فتتمدد حسراتك وتزيد ويلاتك ولو أقللت من حزنك لأقرضت جميلة حياة ابنتها وبررت بهما معاً براً تكتسب به لك حسنة مقابل ما تظن أنك قد أسأت به الى المرحومة زوجتك

أجاب سليم — لقد نصحت فأحسنت ولكن لا سبيل الى الانتصاح • ولي نفسي وعليَّ تبعة قتلها فانما هو قصاص الدم بالدم • ولنعيمة ربٌ يتولاها ولا خوف فقد أمنت عليها ما دامت تحت اشرافكم واذا بلغت سن الكبر فأمرها مسلم لربها •

واصف ــ لقد بلغت بما تنويه حد اجرام المجرمين وجنايات الجانين • أتريد أن تعمل على قتل الابنة كما قتلت الأم ؟ ما هذه القسوة والجرأة على الخالق والخلق ؟ انظر

يا أخي ان المسئلة سهلة اذا عملت بعقل • والنسيان ممكن لكل انسان متى قصده • خصوصاً وهو من دأب الآدمي وديدنه • وانما يستصعب أمره ضعفاء الارادة خفاف العقول •

سليم — ماذا تأمرني والمسألة على ما أري أعقد من ذنب الضب وقلبي ليس في حكمي • قد رأيت من نعيمة الهجر لي • ولا ألومها فانما هي تثأر لأمها ولا تثريب على صاحب الدم • وليس من حيلة لأن أراها فأتعزى بها وأتصبر برؤيتها الا ان أذعنت لما أشرت به عليَّ أمس من إيوائي الى احدى غرف منزلكم • أو انزل صبيحة شقيقتك اليّ في بيتي • الا اني استحي من الاول واكره أن اكلفكم بالثاني كرها لا يحتمل أن تراجعني فيه

وهنا صمت • فقال واصف • أو فماذا ترى ؟ ؟ ؟ اني لا أرضى أن أفرط في نعيمة وأسلمها لك فتضيع بينك وبين الخدم او بينك وبين زوجة جديدة • وآخر ما أستطيع ان اقول • اذهب وشأنك وسأكفل نعيمة حتى تصير أماً •

وخيلت له انها تعتب عليه في اتخاذ خليلة سواها وتؤنبه على ان سلاها وتعزى عنها بغيرها . فجلس على المقعدة شاخصاً للحائط بين ندم وخجل على ان فعل مافعل برهة يذم نفسه ويزجر قلبه على ان رضي بالزواج . وأخرى يمتدحها على انه بذلك خدم نعيمة ابنته وجبر قلبها باتخاذ خادمة لهـا كأم لحضانتها وبهذا يرى كأنمـا هو قد برَّ بوالدتها . ويرجع فيتمنى أن لو كان قد حصل على من يعول ابنته ويريح نفسه من تعبها لأجلها بغير أن يتم زواجه ابتعاداً عمـا يشين بوفائه ويقدح في مروءته .

وفيما هو كذلك طرق الباب مستأذن في الدخول فنبه هذا حواس سليم وأذن للطارق بالمثول . فولجت عليه الغرفة فتاة سمراء حبشية سوداء الشعر طويلته غير انها حسنة تخاطيط الوجه فأنفها اقني متوسط الامتداد وعيناها واسعتان وفمها صغير وجيـدها متوسط الطول وبالجـملة هي هيفاء حسناء لو لم تكن سوداء .

دخلت هذه الفتاة على سليم بتأدب واحتشام ومشت

نحوه خطوات ثم مدت اليه يدها مصافحة فنهض اليها سليم واقفاً وأعطاها يده قبلتها ثم أشار لها بالجلوس على مقعدة مقابلة لجلوسه فرجعت الى الوراء حتى حاذت المقعدة وجلست متلملمة بأدب تنظر الى الارض بحياء عظيم

أما سليم فانه أخذ يكرر النظرات في صبيحة زوجه الجديدة وينكر ثم يعود الى استراق النظرات واختلاس المشاهدة كأنما هو يقابل ما يراه من تخاطيط وجهها على وجه آخر يقرأ آي له

لبث على هذا المثال برهة وتلمحت الفتاة منه فكلمته قائلة

— سيدي — اعرف انني لا أساوي من جميلة قلامة الظفر ولكني لست بالقبيحة التي تكره رؤيتها . ولم نكذب عليك فيما اتفقنا . فان كان أخي لم يذكر لك سوادي فان الطبيعة اذكرتك به ونطق لسان الحال من لون أخي ووالدتي بذلك وأنت لاتنكره اني سأكون بالضرورة سوداء على ان المهم من النساء الخلق واللسان والحركة . وأنت لم تجربني الآن وربما أعجبك ما تراه في خادمتك من تلك الامور فتخفف عنك بعض سماجة لوني الاسود . وقد كانت في يدك وملكك البيضاء الجميلة

فرطت بأمرها وتساهلت في واجبها ومن ذاق حلاوة الزمن وجب أن يصبر على مرارته . واذا كان سوادي وحده هو ما خصك من العقوبة على ما أذيت به جميلة فهو منتهى اللطف من الخالق بك فيما عاقبك به . على ان سواد اللون قد يكون محتمل الضر ولكن لا يحتمل الهجر . ذلك السم الذي تجرعته جميلة من يد سيدي . وراحت بالرغم عن تألمها راضية عنك وأنا وهي اختان خصوصاً وقد أمسيت في درجة الام لابنها فعسي ان أعطي ماعندك من حق أخي الفقيدة فتكون قد أحلت حق دينها عن عنقك الي . واني لمتأكدة من ان الله سيتولى جزاء جميلة عني حتي يرضيها

حينئذ حملق سليم ببصره الى صبيحة برهة خفيفة واسترجع اليه عينيه وجعل يرسل نظراته بعيداً ذاهلا مندهشاً . ثم غمضهما وهز رأسه كالآسف وقال

صبيحة . انك لست بالقبيح وجهها ولا بالتي تكدر رؤيتها ولو كنت السابقة الى قلبي المضني الجريح لكان فيك القنعة والسلوة فليس سوادك الذي ابهتني وكسف بالي وانما هو ....

قال هذا واغرورقت عيناه بالدموع وتشنجت حنجرته

وتقطعت انفاسه فبدأت بشهيق وبكاء فتناول بيده منديله ووضعه على عينيه دقائق

اما صبيحة فلم يكن هذا المنظر المؤثر يستجر عواطفها كأنما هي مشغولة بفكر . بدليل أنها لم تصبر ان قالت

— ان لم يكن ذاك الذي كدرك مني . وقد اعترفت بالتنغيص فما هو الذي يكدرك ؟!

ـ لست متكدراً ولكني حزين ياصبيحة

— حزين ؟! لاشك حزنك لاجل جميله . وقد كان من العدل والمروءة ان لايظهر سيدي الحزن لاول مقابلة تقابلناها لما في ذلك من كسر خاطري . ولقد علمت ان سينالني هذا منك غير اني ثقة في فطانتك وسمو ذوقك وكريم أدبك كذبت هذا الخاطر . اما وقد تحقق لي خيبة الامل منك فأذن لي ان أخليك لابكى على حظي التعس وطالعي النحس وتبكي حزناً على زوجك القديمة

قالت هذا وتحركت للقيام فاستوقفها سليم بقوله

— صبيحة لاتعجلي بالحكم على ما لا تعلمينه فاني لست الذى تحكم عليه الظواهر أو تستوقفه مدلولات المناظر . فقد علمت من أنت في شكلك ورسمك وما غششتموني في شيء

واني لمقتنع كل الاقتناع بما أراه فيك من آثار الطبيعة وانك لفوق المؤمل في العقل والفطانة . ولم يبكني سبب مما أشرت اليه وانما أشجاني انى أملت فيك خمادة لجرحي وجبراً لكسري فاذا بك قد زدتني آلاماً وأوسعتنى أذى حتى لقد والله تمكن الشك من يقيني والوهم من علمي فاختلط لديَّ الحق بالباطل واشتبه الرائج بالعاطل . انك لو كنت على ماظننت أنا سوداء شوهاء لما أبكيت عيني وأشقيت نفسي : ولكنك أشبه بجميلة في كل شيء سوى سواد البشرة والشعر . وبهذا الوصف فستكونين داعي عنائي وتعذيبي . فاني كلما أبصرتك ذكرت جميلة وما لها عليَّ من حق أقله الحكم بأن نكون كأشقاء في مربى وزملاء في عمل فان رسوم وجهك هذه كأنما تطل منهما جميلة عليَّ فتناشدني خصامك : فليكن لي في متسع أدبك عذر بما قدمت

قالت صبيحة . أنت ياسيدى كأنما قد عاهدتك نفسك على أن لا تفرغ من الأذى للناس : وكأني بك تعمل على قتلي كما قتلت نفساً بالأمس . وما بعد هذا جرم . ولقد سمعت

حكاية سيدتي جميلة ورجوت أن أقابل منك بما يعدك لمغفرة الله ويؤهلك لتوبته فخاب الرجاء . أو فما لك تبادئني . بالقطيعة وتسبق اليَّ بالاساءة في حين ادعائك رقة العواطف ورحمة القلب فلقد عددت ماحسبته أنا حسنة لي سيئة فان قرب شبهي من جميلة خلق بي الامل لأن أحتل من قلبك حيزاً هو بجانب مسكن جميلة . ولكن كأنما انقلب الخير الي شرّ وأمسى الذي كنت أستشفعه من ألدّ الخصوم لي : واعمري لقد اوضح لي انك كنت على هذا المنوال تعمل في معاشرة جميلة وكأنك تهيء هذا السلاح للقضاء على بنات حوّاء . فليهنك الفوز يا مولاي فقد حاربت جنساً ضعيفاً ونوعاً مستسلماً كلما اعده لك من آلات الدفاع هو الاستنجاد بك عليك والاستغاثة بك منك

قال سليم — إنا لله : أسأت للماضية فأسلمت بموتها مكينا للاخرى تحدها لقتلي - بأدبك يا صبيحة أستحلفك ان لاتساجليني العداء لأول ملتقانا فما بقي فيَّ موضع لاحتمال الشحناء : انما أنت يا صبيحة ان عملت حسناً معي كأنما تتصدقين بصدقة فقد وهى جسدي ووهنت قوّتي لدرجة ان صرت أحق بالرحمة من المنقطع وابن السبيل . فرحم الله راحم سليم ومن أولاه كلمة

معروف يخفف بها آلامه ويخلق في نفسه العزاء على ما حلّ به

قال هذا و بكى . وحينئذ أطرقت صبيحة برأسها برهة ثم عادت فقالت

انك يا سيدي سليم لتحب جميلة حباً مفرطاً . فهل بحتَ لها بالحب او كانت تعلمه ؟؟

سليم — تعلمه علم اليقين يا صبيحة

صبيحة — اذن كانت تبغضك بقدر حبك لها ؟؟

سليم — كلا بل تعشقني بأكثر من عشقي لها

صبيحة — لا شك كانت معتوهة او بها صرع يعاودها أحيانا والا ما آثرت ان تنتحر فراراً من رجل يحبها وتحبه

سليم — لا والله بل كانت في منتهى العقل والرزانة سليمة الجسد قوية الاعصاب

صبيحة — اومتأكد انت هذا !!

سليم — كل التأكيد

صبيحة — اذاً فلم يبق إلا النتيجة الثانية وهي ان جميلة لم تمت

سليم — بل ماتت وشبعت موت

صبيحة — كلا لم تمت فقد كنت وأخي واصف بذ كرلي

حادثة انتحارها أعجب أن تؤدي وقائع الحادثه الى انتحار شخص وأستغرب أن يكون البوليس قد استنتج ذلك من تحقيق الواقعة ويشتد بي الاستغراب من قبول رجال القضاء ذلك أو فواته على عقولهم مع ان أركان الحادثة لا تنتج حدوث انتحار وهذا أنت الساعة قد اعترفت للمنتحرة بسلامة العقل والبدن فلم تدع للشك عندي محلا في ان جميلة لم تنتحر وانما هي لا تزال حية ترزق

سليم ـ حية ترزق ! كيف والشيء الاسود الذي اصطدم بدرابزين الكوبري فكان له رنة ثم سقط من النهر ؟؟

صبيحة ـ هو صرة او لفافة من قماش او ورق مثقل بجسم صلب كحجر

سليم ـ والركاب الذين شهدوا على إلقائها نفسها في النهر ؟؟

صبيحة ـ اولئك شهود استأجرتهم لتتميم الحيلة على سيدي

سليم ـ وأين كانت وقت الحادثة !!

صبيحة ـ كانت بين الركاب مدسوسة لتحفظ ابنتها وتحرس حليها

سليم ـ وكيف لم يفطن البوليس لذلك

صبيحة ـ ان البوليس لم يكلف بالبحث عن استظهار خفي وا كتشاف مجهول . وانما هو مناط بأن يستعلم عن مجرى

المسألة الى النهاية وأخذ صورة ذاك امرضه على ذي عقل ، وهذا علة أكثر الجرائم في القطر وداعي نموّ الجرأة في المجرمين

سليم — وكيف وقعت النيابة على حفظ أوراق الحادثة ؟

صبيحه ـ لانك لم تحملها على البحث وليست هي بمتفرغة لخلق المشا كل

سليم ـ ولما ذا صنعت جميلة كل هذا !!

صبيحة ـ لتعاقبك على ما فرط منك . وتؤدبك لما فيعمر بيتها

سليم ـ أما العقوبة فقد حصلت والتأديب قد تمّ ولكن هل عمر بيتها ؟!

صبيحه ـ سيعمر بعد اليوم يا سيدي

سليم ـ بعد اليوم ؛ وأين هي ؟ ،

صبيحه ـ ـ أناهي ياسيدي . وسواد جلدي وشعري من صبغة استحضرتها . وواصف شاب خصي (أغا) استأجرته وأمه الحبشية كذلك ..

حينئذ لم يتمالك سليم نفسه ان قام اليها يعتنقها و يقبلهاوهى كذلك

(تمت)

ثمار القلوب — في المضاف والمنسوب

هو سفر جليل لفيلسوف اللغة أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري استقصى فيه مايضاف الى الله تعالى وأنبيائه وملائكته ثم تنزل الى المكونات على اختلاف أنواعها وحركات الارض وما يحدث فيها وتخاص من ذلك الى الكلام على طبقات العالم وأصحاب المذاهب والديانات فخصائص البلدان وطبائعها والعادات وآثارها وما يضاف الى الطيور والحيوانات والحشرات وغرز الطبع فيها وفي خلال ذلك من الآداب مالو جمع لكان كتاباً مفرداً في بابه وهو مطبوع على ورق جيد مصقول بحرف جميل في نحو ستمائة صفحة وثمنه اثني عشر قرشاً ونصف صاغ يباع عند حافظه السيد محمد ابو المحاسن القاوقجي بمنزله ببرجوان نمرة ٣٥ بوستة الغورية وفي مكاتب الهلال والمعارف والتأليف وهنديه وكثير من المكاتب الأزهرية